اعراضه عن امر الاخرة والناهب لها بقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا اي حالها العجيبة
في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها والمثل قول سائر
يشبه به حال الثاني بالاول كماء انزلناه وحقق امره وبينه بقوله تعالى من السما
فاختلط به اي بسببه نبات الارض اي اشتبك بعضه ببعض والاختلاط
تداخل الاشيا بعضها في بعض مما ياكل الناس من الحبوب والثمار ونحو ذلك
وَمما ياكل الانعام من الحشيش ونحوه حتى اذا اخذت الارض زخرفها
اي حسنها وبهجتها من النبات وازينت باظهار الوان زهرها من ابيض واصفر
واحمر وغير ذلك من الزهور كالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون
فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزينة واصل ازينت تزينت ابدلت التاء
زايا وادغمت في الزاي وظن اهلها اي تلك الارض انهم قادرون عليها اي متمكنون
من تحصيل جذاذها وحصادها اتاها امرنا اي قضاؤنا من الحر والبرد المفرط
او غيره ليلا او نهارا اي في الليل او في النهار فجعلناها اي زرعها حصيدا
اي كالمحصود بالمناجل وقوله تعالى كان مخففة اي كانها لم تغن اي لم تكن الامس
تلك الزروع والاشجار قائمة على ظهر الارض وحذف المضاف فجعلناها
ومن كان لم تكن للمبالغة تنبيه تشبيه الحياة الدنيا بهذا النبات يحتمل وجوها
الاول ان عاقبة هذه الدنيا التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات
الذي حين عظم الرجا في الانتفاع به وقع الياس منه لان الغالب ان المتمسك
بالدنيا اذا وضع قلبه عليها وعظمت رغبته فيها ياتيه الموت وهو معنى
قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
اي خاسرون الدنيا وقد انفقوا اعمارهم فيها وخاسرون من الاخرة مع انهم
توجهوا اليها الثاني انه تعالى بين انه لم يكن يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة
فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد مع ان المنافع التي
تحصل فيها مخلوطة بالمضار والمتاعب فان سعادة الدنيا غير خالصة عن
الافات بل هي ممزوجة بالبليات والاستقرار يدل عليه ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل يا رسول
الله وما هو قال سوور يوم بتمامه الثالث ان مالك ذلك النبات لما عمرها
باتعاب النفس وكد الروح وعلق قلبه على الانتفاع بها فاذا حصل ذلك السبب
المهلك صار العنا الشديد الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقا الشديد
له في المستقبل وهو ما يحصل له في قلبه من الحسرات فكذا حال من وضع
قلبه على الدنيا واتعب نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كل ما فات صار العنا الذي
تحمله في تحصيل اسباب الدنيا سببا لحصول الشقا العظيم له في الاخرة كذلك
اي مثل هذا التفصيل الذي ذكرناه نفصل الايات اي نبينها لقوم يتفكرون
لانهم المنتفعون بها ولما نفر الله تعالى العاقلين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق

رغبهم

١

ترغيبهم في الاخرة بقوله والله يدعوا اي تعلق دعاوه على سبيل التجدد والاستمرار
بالمدعوين الى دار السلام قال قتادة السلام هو الله وداره الجنة وسمي سبحانه
وتعالى السلام لانه واجب الوجود لذاته فقد سلم من الفنا والتغير وسلم في احتياجه
في ذاته وصفاته من الافتقار الى الغير وهذه الصفة ليست الا لله تعالى كما قال
تعالى والله الغني وانتم الفقراء وقال تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله
وقيل السلام بمعنى السلامة وقيل المراد بالسلام الجنة سميت الجنة دار
السلام لان اهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم قال الله
تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن رحمته وجوده وكرمه
على عباده الى دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل ان فيها ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم ولا يوصف
الا عظيما وقد وصف الله تعالى الجنة في ايات كثيرة من كتابه وعن جابر قال
جات ملايكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا
مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مايدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل
من المايدة والدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم والله يهدي من يشا
من عباده بما يخلق في قلبه من الهداية الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام
عمم سبحانه وتعالى بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص بالهداية ثانية اظهارا للقدرة
لان الحكم له في خلقه وقال الجنيد رضي الله عنه الدعوة عامة والهداية خاصة
بل الهداية عامة والصحبة خاصة بل الصحبة خاصة والاتصال خاص وقيل يدعو
بالايات ويهدي للحقايق والمعارف وقيل الدعوة لله والهداية من الله وقال
بعضهم لا تنفع الدعوة لمن سبق له من الله الهداية للذين احسنوا اي بالايمان
الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر اليه تعالى في الاخرة كما في الحديث الصحيح
اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا انه يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون
اليه فوالله ما اعطاهم الله شيا هو احب اليهم منه والزمخشري في كشافه قال
في هذا وزعمت المشبهة والمجبرة لان المعتزلة ينكرون الروية ويرد عليهم قول
الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واثبت الله تعالى لاهل الجنة امرين
احدهما النضارة وهي حسن الوجوه والثاني النظر الى الله تعالى وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وعن الحسن عشر امثالها الى سبعماية ضعف وعن مجاهد
الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن زيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة
فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيا الا امطرتهم ولا مانع ان تفسر
الزيادة بذلك كله اذ لا تنافي فيها والفضل واسع ولا يرهق اي يغشى
وجوههم قتر اي سواد ولا ذلة اي كابة وكسوف فظهر منه الانكسار والهوان
اولئك اصحاب الجنة وقوله تعالى هم فيها خالدون اشارة الى كونها دائمة
امنة من الانقطاع ولا زوال فيها ولا انقراض بخلاف الدنيا وزخارفها

Copyright © King Saud University